نصائحُ أهلِ الله بِأَنّ خَيْرَ خــَلْقِ الله أَنــْفَعُهُمْ لِخَلقِ الله

2021-07-23

الحمد لله الذي جَعَلَ الرَّابِطَةَ بَيْنَ المُسلِمِينَ رَابِطَةَ الإيمَانِ، وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَكُونُوا صَفًّا مَرْصُوصًا كَالبُنْيَانِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى التَّعَاوُنِ وَالتَّآلُفِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّشَتُّتِ وَالتَّخَالُفِ، فسبحانه من إله رَغَّبَ فِي الخَيْرِ بِمَا وَعَدَ عَلَيْهِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوابِ، ونَفَّرَ مِنَ الشَّرِّ بِمَا تَوَعَّدَ عَلَيْهِ مِنْ أَلِيمِ العِقَابِ، أَمَرَ بِالحَثِّ عَلَى الخَيْرَاتِ، وَوَجَّهَ إِلَى تَحفِيزِ الهِمَمِ والطَّاقَاتِ، واستِثْمارِ الفُرَصِ والقُدُراتِ، لِمَا فِيهِ صَلاَحُ الأَفْرادِ والمُجتَمَعاتِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، فتح لعباده أبواب القربات، ودلّهم على سُبُل الطاعات، وأخبرهم بما يكون لهم ذُخْرا بعد الممات، وأمرهم بفعل الخيرات. وَالمُسَارَعَةِ إِلَى المَبَرَّاتِ، فَقَالَ عَزَّ شَأْنُهُ في سورة الحج:((وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)). وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ المُجْتَبَى، وصفيّه وخليله المصطفى. كَانَ أَنْفَعَ الْخَلْقِ لِلْخَلْقِ، فَاقْتَدَى بِهِ أَهْلُ الْخَيْرِ وَالصِّدْقِ،

يا أمّةَ المصطفى يا أشرفَ الأُمَمِ * هذا نبيّكُمُ المخصوصُ بالكرمِ
هو الرؤوفُ الرحيمُ الطاهرُ الشِّيَمِ * إن شِئتُمُ أن تنالوا رِفْعةً وغِنًى
صلّوا عليه لعلّ اللهَ يرحمُنَا

اللهم صلِّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمد. أُسوة الفقراء في القناعة بالقُوت المحدود، وقُدوة الأغنياء في السّخاء والجُود، وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهدي سيّد الوُجود. وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم إبتغاء رضوان الواحد المعبود، صلاة تبلّغنا بها غاية المنى والمقصود. وننال ببركتها شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في اليوم الموعود. ونُسقى بها من حوضه المورود. شربة لا نظمأ بعدها أبدا. بفضلك وكرمك يا برّ يا ودود. أمّا بعد: فيا أيّها المسلمون. فَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ

قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا، فَـ((لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)). إِنَّهَا أُلْفَةٌ انبَثَقَتْ مِنْهَا أُخُوَّةٌ شَامِلَةٌ فَكَانَتِ الْمَوَدَّةُ وَالوِئَامُ، وَالتَّرَابُطُ وَالانْسِجَامُ، وَكَانَتِ الدَّعْوَةُ إِلَى الإِيثَارِ، وَهَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ مُجْتَمَعُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِقَولِهِ في سورة الحشر:((وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). نَعَمْ، فَالشُّحُّ نَابِعٌ مِنَ الأَنَانِيَّةِ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ تُنَافِي دَعْوَةَ الإِسْلامِ إِلَى مَدِّ يَدِ الْخَيْرِ إِلَى الْغَيْرِ، ذَلِكَ أَنَّ فِعْلَ الْخَيْرِ وَكَفَّ الشَّرِّ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الْمُتَّقِينَ، بَلْ هُوَ سَبِيلُ الْفَوْزِ وَالفَلاحِ، يَقُولُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ. في سورة الحج:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)). أيّها المسلمون. إِنَّ مَدَّ يَدَ الْعَوْنِ لِلعَالَمِينَ سَجِيَّةٌ مِنْ سَجَايَا النَّبِيِّينَ، قال تعالى في سورة الأنبياء:((وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)). وقد رغّب نبيّنا الكريم صلى الله عليه وسلم في فِعل الخيرات. وإعانة المحتاجين. والسعي في قضاء حوائج الناس. فقال عليه الصلاة والسلام:((خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ، وَأَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوْعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ لَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَلَوْ شَاءَ اللهُ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رِضًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَينِ صَدَقَةٌ، تُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ

تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ. هَكَذَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ صلى الله عليه وسلم. وَهَكَذَا عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَخَلَّقَ بِهَا، لِيَكُونَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهِ فِيهِمْ:((أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)). أيّها المسلمون. الْخَلْقُ عِيَالُ اللهِ، وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ، يَقُولُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:((مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ))، فَطُوبَى لِعَبْدٍ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَكَفَلَ بِهِ يَتِيمًا، أَوْ زَوَّجَ بِهِ شَابًّا أَعْزَبَ، أَوْ قَضَى بِهِ دَيْنَ غَرِيمٍ، أَوْ أَعَانَ مُحْتَاجًا، طُوبَى لِمَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَأَنْشَأَ بِهِ مَشْرُوعًا ضَخْمًا، ضَمَّ فِيهِ عَدَدًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْبَاحِثِينَ عَنْ عَمَلٍ، فَسَتَرَهُمْ وَأَعَفَّهُمْ عَنِ السُّؤَالِ، فِيَا أَصْحَابَ الأَمْوَالِ هَذَا هُوَ حَظُّكُمْ مِنَ الْمَالِ، ((يَقُولُ ابنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ))، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَذَاهِبٌ عَنْهُ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ. وَيَا مَنْ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ أَوِ الدُّنيَا، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ مِنْ أَجَلِّ الْعِبَادَاتِ الَّتِي يَتَعَدَّى نَفْعُهَا إِلَى الآخَرِينَ تَعْلِيمَ النَّاسِ الْخَيْرَ؟! فَاللهُ وَمَلاَئِكَتُهُ وَأَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ. أيّها المسلمون. يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في سورة المزمّل:((وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)). فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللهَ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ مِغْلاقًا لِلشَّرِّ، وَفِي الأَثَرِ أَنَّ :((صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ))، لِذَلِكَ فَفَاعِلُ الْخَيْرِ وَصَانِعُ الْمَعْرُوفِ لا يُخْزِيهِ اللهُ أَبَدًا، فَرَسُولُ الْهُدَى صلى الله عليه وسلم لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي غَارِ حِرَاءٍ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَزِعًا، فَقَالَتْ لَهُ السيّدة خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:((وَاللهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ))؛ إِنَّ مَدَّ يَدَ الْعَوْنِ وَتَقْدِيمَ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ يَتَأَكَّدُ فِي زَمَانِنَا هَذَا أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ زَمَنٍ مَضَى؛ حَيْثُ مَصَالِحُ الْخَلْقِ مُتَشَابِكَةٌ، وَقَضَاءُ حَوَائِجِهِمْ مَوْقُوفٌ عَلَى جِهَاتٍ مِنْ شَأْنِهَا الْقِيَامُ عَلَى خِدْمَةِ النَّاسِ، فَمَا أَجَمَلَ أَنْ يَتَذَكَّرَ أُولَئِكَ الْعَامِلُونَ فِي جِهَاتٍ خِدْمِيَّةٍ يَرْتَادُهَا النَّاسُ أَنَّ خِدْمَةَ الْعِبَادِ

فِي تَخْلِيصِ مُعَامَلاتِهِمْ، وَتَيْسِيرِ أُمُورِهِمْ، وَتَسْهِيلِ إِجْرَاءَاتِهِمْ مِنْ أَجَلِّ الطَّاعَاتِ وَأَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ الَّتِي يَنَالُ بِهَا الْعَبْدُ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ؛ كَيْفَ لا ؟! وَخَيْرُ الْخَلْقِ أَنْفَعُهُمْ لِلْخَلْقِ. فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَكُونُوا بِالْحَقِّ إِخْوَانًا، وَعَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا. ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)). قال صلى الله عليه وسلم:((وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا دَامَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)). اللَّهُمَّ آتِ نَفوسنا تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أنتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أنتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا. اللهُّم لا تجعل الدُنيا أكبر همّنا ولا مَبلغ عِلمنا. اللهمَّ اجعَلنا من المحسنين لعبادك، المُخلصين لوجهك، اللهمَّ اجعَلنا من مفاتيح الخير، ومغاليق الشر، يا كريم يا رحمن. اللهم اهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق. لا يهدي لأحسنها إلا أنت. واصرف عنّا سيّئها. لا يصرف عنّا سيئها إلا أنت. اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ